

نیل الوطر فی تخریج حدیث: «مثل أمتي كالمطر»

تألیف

بزرگ بریلوی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذا تخريج للحديث المروي عن النبي ﷺ: «مثل أمتي كالمطر، لا يُدرى أوله خير أم آخره».

وهو بحث مستل من تخريجي لأحاديث كتاب "غاية الأمان في الرد على النبهاني" للعلامة أبي المعالي الألووسي رحمه الله تعالى.

وكان البحث مختصراً على الصناعة الحديثية من حيث جمع طرق الحديث والحكم عليه، ولما أفردته هنا أضفت إليه الكلام عن معنى الحديث، وما حصل فيه من إشكال وتوهم المعارضة بغيره، والجهد جهد المقل، مع الاعتراف بالتقصير، ولكن حسبي أنني ساهمت ببعض الإفادة، ولست أنف من إخواني القراء بكل نقدٍ وزيادة، فالله من وراء القصد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فصل

في تخريج الحديث

قال أبو داود الطيالسي في "مسنده" (ح ٢١٣٥) قال: حدثنا حماد بن يحيى الأبح، قال: حدثنا ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قال: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خيرا أم آخره».

تابع الطيالسي جماعة منهم:

[١] قتيبة بن سعيد؛ عند الترمذي في "الجامع" (ح ٢٨٦٩) والبيهقي في "الزهد" (ص ١٧٣) والكلابذي في "بحر الفوائد" (ص ٣٧٧).
[٢] حسن الأشيب؛ عند الإمام أحمد في "المسند" (١٩ / ٣٣٤، ٤٤٥) وفي "العلل" (٣ / ٣١٤).

[٣] ومحمد بن جعفر الوركاني؛ عند عبدالله بن أحمد في "العلل" (٣ / ٣١٤).

[٤] وأحمد بن عبدة؛ عند أبي الشيخ في "الأمثال" (ح ٣٣٠).

[٥] ومسلم بن إبراهيم؛ عند القضاعي في "الشهاب" (ح ١٣٥٢).

[٦] وعبدالرحمن بن المبارك؛ عند البغوي في "تفسيره" (٢ / ٩١).

[٧] وعاصم بن علي، مع الذي قبله كلاهما عند ابن عدي في "الكامل" (٢ / ٢٤٦).

[٨] ومسدد بن مسرهد^(١)، في "التدوين في أخبار قزوين"، في موطنين.

وتابع حماد بن يحيى الأبح، جماعة منهم:

[١] يوسف بن عطية الصفار؛ عند أبي يعلى الموصلي في "مسنده" (ح ٣٤٧٥) قال:

حدثنا أبو ياسر عمار بن نصر حدثنا يوسف بن عطية أخبرنا ثابت عن أنس بن مالك به.

ويوسف بن عطية البصري الصفار مجمع على ضعفه، كثرت أوهامه فتركوه^(٢).

^(١) وتصفح في (مسرهد) إلى (مرهد) وكذا (الأبح) إلى (الأشج)، فليتبته.

^(٢) "ميزان الاعتدال" (٤ / ٤٦٨).

ولما سُئل الحافظ النووي في "الفتاوى" (ص ١٨٠) عن هذا الحديث عزاه إلى أبي يعلى فقط، وأعله بيوسف الصفار، واستغربه الزركشي في "التذكرة" (ص ٢١٨) وابن حجر في "الفتح" (٦/٧) وقال: «وأغرب النووي فعزاه في "فتاويه" إلى مسند أبي يعلى من حديث أنس بإسناد ضعيف، مع أنه عند الترمذي بإسناد أقوى منه من حديث أنس وصححه ابن حبان من حديث عمار رضي الله عنه».

[٢] حماد بن سلمة؛ رواه الراهمزمي في "الأمثال" (ص ١٠٥) قال: حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني -تلقيناً- ثنا إبراهيم بن حمزة بن أنس -بحلوان- ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ به.

ورجال الإسناد ثقات؛ غير إبراهيم بن حمزة بن أنس فلم أعثر له على ترجمة، وأخشى أنه انقلب عليه راويه، فقال: «حماد بن سلمة» وهو يريد حماد بن يحيى الأبح كما تقدم، وقبول التلقين من مظان ضعف الراوي، والله أعلم.

[٣] عبيد بن مسلم السابري، رواه الراهمزمي في "كتاب الأمثال" (ص ١٠٥) قال: حدثني محمد بن علي السلمي، قال: سمعت هذبة -يعني ابن خالد- ثنا عبيد بن مسلم السابري عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره.

وهذا إسناد ضعيف جداً، آفته محمد بن علي بن الوليد السلمي البصري، يركب الأسانيد، قال الإسماعيلي: «بصري منكر الحديث»^(١).

وحسن الشيخ الألباني إسناده في "الصحيحة" (٣٥٥/٥) وفاته حال السلمي هذا.

وتابع ثابتاً في هذا الحديث عن أنس رضي الله عنه جماعة؛ منهم:

[١] الحسن بن أبي الحسن البصري، فرواه أبو أحمد ابن عدي في "الكامل في

الضعفاء" (٣٣١/٤) من حديث عبيد الله بن تمام عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس رضي الله عنه به.

^(١) "معجم الإسماعيلي" (رقم ١١٢) "ميزان الاعتدال" (٦٥١/٣) "المغني في الضعفاء" (٥٨٣٦) "لسان الميزان" (٢٩٢/٥).

وهذا من مناكير عبيدالله بن تمام، وقد ضعفه أبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني، وغيرهم^(١).

ورواه الطبراني في "المعجم الأوسط" (ح ٤٠٥٨) قال: حدثنا علي، قال: نا الحسين بن أبي زيد الدباغ، قال: نا عمر بن حفص عن مالك بن دينار عن الحسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فذكره.

قال أبو القاسم الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن مالك بن دينار إلا عمر بن حفص، تفرد به الحسين بن أبي زيد الدباغ».

وهذا إسناد ضعيف، ومالك بن دينار ثقة عابد، والدباغ كذلك، ولكن عمر بن حفص غالب الظن أنه أبو حفص العبدي وهو متروك الحديث، ضعفه ابن المديني ويحيى بن معين والإمام أحمد والبخاري وأبو حاتم والنسائي وجماعة^(٢).

^(١) "الكامل" (٤/٣٣١) "ميزان الاعتدال" (٤/٣).

^(٢) "التاريخ الكبير" (٣/٢/١٥٠) "الجرح والتعديل" (٦/١٠٣) "الضعفاء والمتروكون" لابن الجوزي (٢٤٤٩).

فصل

في الاختلاف على الحسن البصري في هذا الحديث

أُخْتَلِفَ في الحديث عن الحسن على عدة أوجه:

تقدم أحدها وهو: عن الحسن عن أنس رضي الله عنه موصولاً.

والوجه الثاني: عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه به، عزاه السيوطي في مجموع المسمى بـ "الحاوي للفتاوي" (٢/ ١٠٤) إلى "مسند" أبي يعلى قال: حدثنا حوثره^(١) بن أشرس قال: أخبرنا عقبه بن أبي الصهباء الباهلي قال: سمعت الحسن يقول: سمعت علياً يقول: قال رسول الله ﷺ: فذكره.

قال السيوطي: «قال محمد بن الحسن بن الصيرفي شيخ شيوينا: هذا نص صريح في سماع الحسن من علي ورجاله ثقات، حوثره وثقة ابن حبان، وعقبه وثقه أحمد وابن معين».

والإسناد رواه ثقات: عقبه بن أبي الصهباء أبو خريم الباهلي البصري، وثقه يحيى والإمام أحمد وغيرهما^(٢).

وحوثره بن أشرس أبو عامر العقدي، ذكره ابن حبان في "الثقات" وقال الذهبي في "السير": «ما أعلم به بأساً»^(٣).

ولكن هذا لا يحقق طمأنينة القلب بسلامة ما روى لانفراده بمثل هذا الإسناد، ولو سلم حاله، فلا يبعد أن يكون الوهم من عقبه بن أبي الصهباء فقد رواه ثلاثة من الثقات عن الحسن مرسلاً كما سيأتي، وهم أثبت وأشهر من عقبه بن أبي الصهباء.

^(١) وقع في الحاوي «جويرية»، وكذا في ترجمة عقبه بن أبي الصهباء من "الثقات" (٧/ ٢٤٧) لابن حبان، وهذا كله تصحيف، وصوابه: «حوثره» وهو عند ابن حبان في "الثقات" على الصواب في (٨/ ٢١٥).

^(٢) الجرح والتعديل "٣١٢/٦" تاريخ بغداد "١٢/ ٢٦٤".

^(٣) "الثقات" (٨/ ٢١٥) "سير أعلام النبلاء" (٢٠/ ١٨٣).

الوجه الثالث: عن الحسن بن عمران بن حصين رضي الله عنهما؛ رواه البزار في "مسنده" (ح ٣٥٢٧) من حديث عباد بن راشد عن الحسن بن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

وعباد بن راشد «صدوق له أوهام» قاله الحافظ في "التقريب"^(١).
والحسن البصري لم يسمع من عمران بن حصين، قاله ابن المديني والإمام أحمد ويحيى بن معين وأبو حاتم وغيرهم^(٢)، وسيأتي من رواه من حديث عمران من غير طريقه.

الوجه الرابع: عن الحسن بن عمار بن ياسر رضي الله عنهما به، عند الإمام أحمد في "المسند" (١٧٤ / ٣١) عن عبدالرحمن بن مهدي حدثنا زياد أبو عمر عن الحسن به.
وزياد أبو عمر صدوق فيه لين^(٣)، والحسن لم يسمع من عمار شيئاً^(٤)، وسيأتي له وجه آخر عن عمار رضي الله عنه من غير طريقه.
تنبيه:

ذكر محقق "المسند" (١٧٤ / ٣١) أن ابن معين اختلف قوله في زياد، وأنه وثقة مرة وضعفه أخرى!، وما نقله ابن شعيب عنه قوله: «يضعف!».
ودعوى اختلاف القول غير وجيهة.

ولم أجد مصدر هذا اللفظ عن يحيى، وذكره المزي في "تهذيب الكمال" (٥١٦ / ٩) وتبعه الحافظ ابن حجر في "التهذيب" (٣٣٢ / ٣) وذكره الذهبي في "الميزان" (٩٣ / ٢) وليس في اللفظ المنقول تضعيف ابن معين له، وإنما حكاية قول غيره، وهو يوثقه كما تقدم في رواية إسحاق بن منصور.

^(١) "ميزان الاعتدال" (٣٦٥ / ٢) "تهذيب التهذيب" (٨٠ / ٥) "تقريب التهذيب" (رقم ٣١٢٦).

^(٢) "تهذيب التهذيب" (٢٣٤ / ٢).

^(٣) "تقريب التهذيب" (رقم ٢١٠٠) "تهذيب التهذيب" (٣٣١ / ٣).

^(٤) "تهذيب التهذيب" (٢٣٢ / ٢).

وفي نفسي أن المضعف غير زياد بن أبي مسلم، وهو آخر اسمه: زياد أبو عمر، ذكره البخاري في "تاريخه" (٢/١/٣٦٣) وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٣/٥٥١) وسكتا عنه، وذكره ابن حبان في "الثقات" (٤/٢٥٧) يروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ويروي عنه الحسين بن واقد.

وذكره ابن الجوزي في "الضعفاء" وقال: «ضعفه يحيى»^(١).

وقال النسائي: «ليس بالقوي»^(٢).

وقال الأزدي: «متروك الحديث»^(٣).

فهذا يقوي الاحتمال بأن الذي أراده الإمام يحيى بن معين من قوله: يضعف، هو ذا وليس السابق زياد بن أبي مسلم الصفار، والله أعلم.

الوجه الخامس: عن ثابت عن الحسن مرسلًا، ففي "العلل" (٣/٣١٤) قال عبدالله ابن أحمد: «سألت أبي عن هذا الحديث، فقال: هو خطأ إنما يروى هذا الحديث عن الحسن».

ثم رواه الإمام أحمد عن حسن بن موسى قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت وحميد ويونس عن الحسن عن رسول الله ﷺ فذكره.

وسبب الإعلال ظاهر، وهو أن حماد بن سلمة رواه عن ثلاثة ثقات كلهم يروونه عن الحسن مرسلًا، وهذا الوجه هو أصح الوجوه في حديث الحسن.

[٢] قتادة بن دعامة؛ عن أنس رضي الله عنه به، روى ذلك ابن عدي في "الكامل" (٣/٤٨)

من حديث روح بن عبد الواحد ثنا خليل بن دعلج عن قتادة عن أنس به مرفوعاً.

وخليل بن دعلج ضعيف الحديث، ضعفه يحيى بن معين والإمام أحمد^(٤).

^(١) "الضعفاء" لابن الجوزي (رقم ١٢٨٨).

^(٢) "الضعفاء والمتروكون" للنسائي (رقم ٢٢٧).

^(٣) "ميزان الاعتدال" (٢/٩٦).

^(٤) "الجرح والتعديل" (٣/٣٨٤).

وقال ابن حبان في "المجروحين": «كان كثير الخطأ فيما يروى عن قتادة وغيره، يعجبني التنكب عن حديثه إذا انفرد»^(١).

وذكر ابن عدي هذا الحديث من منكراته، وقال: «وعامة حديثه يتابعه عليه غيره وفي بعض حديثه نكارة وليس بالمنكر الحديث جداً»^(٢).
قال الساجي: «مجمع على ضعفه»^(٣).

[٣] الزهري؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه به، روى ذلك ابن حبان في "المجروحين" (٩٠ / ٣) أخبرنا جعفر بن إدريس القزويني بمكة قال: حدثنا حمدان بن المغيرة عن هشام بن عبيدالله الرازي عن مالك عن الزهري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مثل أمتي ..» الحديث.

ورواه الدارقطني في "مسند حديث مالك"^(٤) والخطيب في "تاريخه" (١١٣ / ١١) وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٦ / ٤٣) كلاهما من طريق أبي الحسن القطان في "علله"، وهو في "معجم السفر" للسلفي (ص ٤١٤) وابن عبد البر في "التمهيد" (٢٥٤ / ٢٠) وكلهم من حديث هشام بن عبيدالله الرازي به.

وحمدان بن المغيرة، هو محمد بن المغيرة الهمداني الضبي السكري، وحمدان لقبه.
قال صالح بن أحمد: «صدوق».

وقال السليمان: «فيه نظر»^(٥).

وهشام بن عبيدالله الرازي إمام في السنة، قال عنه العجلي: «رازي ضعيف»^(٦).

^(١) كتاب المجروحين" (٢٨٥ / ١).

^(٢) "الكامل" (٤٩ / ٣).

^(٣) وانظر "الضعفاء" للنسائي (١٧٥) "تهذيب التهذيب" (١٣٧ / ٣).

^(٤) بواسطة "التمهيد" (٢٥٤ / ٢٠).

^(٥) "سير أعلام النبلاء" (٣٨٤ / ١٣) "ميزان الاعتدال" (٤٦ / ٤).

^(٦) "الثقات" للعجلي (١٩٠٥).

وقال أبو حاتم: «صدوق»^(١).

وقال ابن حبان: «كان يهتم في الروايات ويخطئ إذا روى عن الأثبات، فلما كثر مخالفته الأثبات بطل الاحتجاج به»^(٢).

وقال الحافظ ابن عبد البر: «هشام بن عبيد الله الرازي هذا ثقة لا يختلفون في ذلك»^(٣). وهذا الإطلاق يدفعه رأي العجلي وابن حبان وهما إمامان معتبران. والصحيح أنه أنزل من درجة الثقة، بما وقع له من أوهام، وبما انفرد به مما لا يتابع عليه.

وضَعَفَ هذا الإسناد - والحديث عموماً - ابن طاهر المقدسي في "معرفة التذكرة" (ص ٥٥)، وقال: «فيه هشام بن عبيد الله الرازي كان يتهم في الروايات ويخطئ فبطل الاحتجاج به، صح أنه: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم»...» وقال أبو الحسن ابن القطان صاحب ابن ماجه في "العلل": «تفرد به - أي هشام - ولا نعلم له علة».

وقال الخطيب: «غريب جداً من حديث مالك تفرد به هشام - يعني عنه - ولم يتابع عليه»^(٤).

ووصفه الذهبي في "الميزان" (٣٠٠ / ٤) بالبطلان، وفي "المغني" (٧١١ / ٢) بالوضع.

وقد نقل الحافظ أبو طاهر السلفي في "معجم السفر" (ص ٤١٥) عن الحافظ عبد الله ابن مَتِّ الأنصاري أنه قال: «ويروى هذا الحديث عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ،

^(١) "الجرح والتعديل" (٦٧ / ٩) وفي بعض النسخ من "الجرح والتعديل" قال ابن أبي حاتم: «وهو ثقة يحتج به» ولم ينقل هذا من اعتمد كتابه في الرجال كالمزي والذهبي وابن حجر، فلعلها وهم من النساخ.

^(٢) "كتاب المجروحين" (٩٠ / ٣).

^(٣) "التمهيد" (٢٥٤ / ٢٠).

^(٤) انظر "المقاصد الحسنة" للسخاوي (ص ٥٩٢).

وحديث مالك بن أنس عن الزهري غريب حسن لم يروه عنه إلا هشام بن عبيد الله قاضي الري، وكان من أصحاب الرأي، متصلباً في الدين، مثبتاً في الأصول، شديداً على المبتدعة، تفرد عنه محمد بن المغيرة السكري الهمداني رواه عنه الكبار أبو الفضل بن إسحاق بن محمود وغيره».

وظاهر كلامه أنه حسنٌ رواية لا من حيث المعنى فقط، ومراده الغريب، لقوله بعد ذلك: «لم يروه إلا هشام..»، والصحيح أنه ضعف هذا الإسناد، لحال هشام بن عبيد الله وتفرد به، والله أعلم.

تنبيه:

روي هذا الحديث من حديث مالك من غير طريق هشام بن عبيد الله، فقد رواه الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" (١١٣ / ١١) قال: أخبرنا الصيمري والتنوخي، قالوا: أخبرنا عبد الجبار بن أحمد حدثنا عبد الرحمن بن حمدان الجلاب حدثنا عبد الله بن إسحاق أبو العباس -نزيل حلب- حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا يحيى بن حسان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان الثوري حدثنا مالك بن أنس عن الزهري عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخره».

وهذا خطأ من عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، انقلب عليه الإسناد، قاله الخطيب البغدادي.

فصل

دراسة إسناد الحديث من طريق الطيالسي

حماد بن يحيى الأبح؛ هو: حماد بن يحيى الأبح أبو بكر السلمي البصري.
روى عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة وثابت البناني ومعاوية بن قرة وابن أبي
مليكة.

وروى عنه أبو نعيم ومحمد بن بكار بن الريان وعبد الرحمن بن المبارك.
قال يحيى بن معين: «ثقة».

وقال الإمام أحمد: «صالح الحديث ما أرى به بأساً».

وقال أبو حاتم: «لا بأس به».

وقال أبو زرعة الرازي: «ليس بالقوي»^(١).

وقال البخاري: «وهم في الشيء بعد الشيء»^(٢).

وقال أبو داود: «يخطئ كما يخطئ الناس»^(٣).

وقال البزار: «لم يكن بالقوي [وقد حدث عنه المتقدمون]»^(٤).

وذكره ابن حبان في "الثقات" وقال: «يخطئ ويهم»^(٥).

وقال ابن عدي: «هو ممن يكتب حديثه»^(٦).

وقال أبو أحمد الحاكم: «ليس بالحافظ عندهم»^(٧).

^(١) "الجرح والتعديل" (١٥٢/٣).

^(٢) "التاريخ الكبير" (٢٤/١/٢).

^(٣) "تهذيب التهذيب" (١٩/٣).

^(٤) لم يذكر هذا في "تهذيب التهذيب" (١٩/٣) وهذا في "مسند البزار" (٦٨٩٦)، وقال عنه في موطن آخر (ح ١٠٤٤): «لين الحديث» ولم يذكر الحافظ ابن حجر هذا اللفظ أيضاً.

^(٥) "الثقات" لابن حبان (٢٢٢/٦).

^(٦) "الكامل" لابن عدي (٢٤٦/٢).

^(٧) "ميزان الاعتدال" (٦٠١/١) "تهذيب التهذيب" (١٩/٣).

قال الذهبي في "الكاشف": «ثقة، قال أبو داود: يخطئ كما يخطئ الناس»^(١).
فخلاصة حاله من كلام الأئمة أنه صدوق له أوهام، نزلت به عن درجة الثقة
أوهامه، وهو قليل الوهم، ولهذا مشى بعض الأئمة حديثه، وعدّ أوهامه كسائر أوهام
غيره من الرواة، والله أعلم.

روى له أبو داود في "المراسيل" والترمذي.

ثابت؛ هو: ثابت بن أسلم البناني أبو محمد البصري.

روى عن أنس وابن الزبير وابن عمر وغيرهم.

وروى عنه حميد الطويل وشعبة وجريير بن حازم والحمادان وجماعة.

قال يحيى بن معين: «بصري ثقة».

وقال الإمام أحمد: «ثابت ثبت في الحديث، من الثقات المأمونين، صحيح الحديث».

وقال أبو حاتم الرازي: «ثقة صدوق»^(٢).

روى له الجماعة، مات سنة ١٢٣ هـ.

الحكم إسناد الحديث:

الإسناد ظاهره الصحة؛ ولكنه معلول، كما تقدم ما ذكره الإمام أحمد من رواية حماد
بن سلمة له عن ثابت وحميد ويونس عن الحسن مرسلاً، وحماد بن سلمة أثبت الناس في
هؤلاء الثلاثة وعلى رأسهم ثابت البناني، وكلهم روه عن الحسن مرسلاً، ففوله يقدم
على قول حماد الأبح، وغيره.

وصوّب ذلك ابن رجب في "شرح العلل" (٥٠١/٢).

^(١) "الكاشف" للذهبي (١١٢٧).

^(٢) "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٤٤٩/٢) وانظر "التاريخ الكبير" (١٥٩/٢/١) "تهذيب التهذيب" (٣/٢).

فصل

في شواهد الحديث

قد روي من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وقد تقدم أنه روي من حديث الحسن عن عمران ابن حصين به، وتقدم الكلام عليه، ورواه الطبراني في "الأوسط" (ح ٣٦٦٠) من حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن أبي نجيد صاحب رسول الله ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: فذكره.

قال الطبراني: «أبو نجيد: عمران بن حصين الخزاعي، ولا يروى هذا الحديث، عن عمران بن حصين إلا بهذا الإسناد، تفرد به: ابن أبي السري».

وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعفه ابن المديني وابن معين والإمام أحمد وجماعة^(١). وروي من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، رواه ابن الأعرابي في "معجمه" (ح ١١٢٢) والقضاعي في "الشهاب" (ح ١٣٥٢) والسهمي في "تاريخ جرجان" (ص ٤٢٩) والدقاق في "فوائده" (ص ١٧) وأبو نعيم في "الحلية" (٢/٢٣١) من حديث عبيس بن ميمون عن بكر بن عبدالله المزني عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما به.

وعبيس - بالضم ثم باء موحدة بعدها ياء تحتية مثناة ثم سين - ابن ميمون أبو عبيدة التيمي ضعفه يحيى بن معين وأحمد والفلاس وأبو زرعة وجماعة^(٢)، روى له ابن ماجه. وذكره المزني في "تهذيب الكمال" بهذا الاسم، وكذلك الذهبي في "الكاشف" وقال: «ضعفه ابن معين وغيره»^(٣).

وقد حصل في اسم عبيس بن ميمون تصحيفان ظاهران:

^(١) "التاريخ الكبير" (٣/٢٨٤) "كتاب المجروحين" (٢/٥٧) "الكامل" (٤/٢٧٣) "تقريب التهذيب" (رقم ٣٨٦٥).
^(٢) "الجرح والتعديل" (٧/٣٤) "كتاب المجروحين" (٢/١٨٦) "الضعفاء" للعلي (٣/٤١٧) "الكامل" لابن عدي (٥/٣٧٣).

^(٣) "تهذيب الكمال" (١٩/٢٧٧) "سير أعلام النبلاء" (٨/٢٧٧) "الكاشف" (٣٦٥٢).

الأول: أوردته الحافظ ابن حجر في "التهذيب" و"التقريب"^(١) في آخر من اسمه (عبيدة) وسماه: عبيدة بن ميمون، وهذا خطأ واضح، وتبعه عليه الخزرجي في "خلاصة تذهيب التهذيب"^(٢)، ولم أجد من ذكره بهذا الاسم غيرهما رحمهما الله.

الثاني: تصحف اسم عبيس بن ميمون في مصادر عدة إلى عيسى بن ميمون.

وعيسى بن ميمون في الطبقة غير واحد، وأشهرهم عيسى بن ميمون القرشي مولاهم المدني وهو ضعيف روى له الترمذي وابن ماجه^(٣).

وعيسى بن ميمون الجرشي المكي: ثقة لا بأس به^(٤)، وهناك غيرهما^(٥).

ولم أجد أحداً ممن ترجم لكل هؤلاء ذكر أنهم يروون عن بكر بن عبدالله المزني^(٦).

وقد جاء على وجه الصواب في "الفوائد" للدقاق، ويقوي ذلك أيضاً ما جاء صريحاً في رواية محمد بن أبان عند السهمي في "تاريخ جرجان" من ذكره لكنيته.

ويؤكد ذلك -أيضاً- إعلال الهيثمي لهذا الإسناد به، فقال في "مجمع الزوائد" (٦٨ / ١٠): «رواه الطبراني وفيه عيس بن ميمون وهو متروك».

^(١) "تهذيب التهذيب" (٨١ / ٧) و"تقريب التهذيب" (رقم ٤٤١٧).

^(٢) "خلاصة تذهيب التهذيب" (ص ٢٥٧).

^(٣) "تقريب التهذيب" (رقم ٥٣٣٥).

^(٤) "تقريب التهذيب" (رقم ٥٣٣٤).

^(٥) انظر "التاريخ الكبير" (٤٠١ / ٢ / ٣) و"الجرح والتعديل" (٢٨٧ / ٦ - ٢٨٨) و"النقات لابن حبان" (٤٨٩ / ٨) و"المجروحين" (٩٩ / ٢، ١٠٢) و"الكامل" لابن عدي (٢٤٠ / ٥) "المتفق والمفترق" (٩٩ / ٣) و"ميزان الاعتدال" (٣٢٧) و"تهذيب التهذيب" (٢١١ / ٨) وقد وقع خلط بين الأسماء عند غير واحد، ما بين الثقة والضعيف، وهل الضعيف رجل واحد أم أكثر من رجل!، وفيه بحث.

ونتيجة هذا التصحيف فقد وهم جماعة فأعلوه بعيسى بن ميمون!، وهو وإن كان الحال لا يختلف لاتفاق الاثنين في الحكم، إلا أن الصواب هو ما ذكر أعلاه، ومن وهم في ذلك أحمد صديق الغماري في "فتح الوهاب تخريج أحاديث الشهاب" (٣٣٦ / ٢)، ومحقق "معجم ابن الأعرابي" (٥٧١ / ٢)، وغيرهم.

وأشدت وهم الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله "السلسلة الصحيحة" (٣٥٥ / ٥) عندما ظن أنه عيسى بن ميمون الثقة، وصحح الإسناد بذلك.

^(٦) "التاريخ الكبير" (٤٠١ / ٢ / ٣) و"الجرح والتعديل" (٢٨٧ / ٦ - ٢٨٨) "الكامل" لابن عدي (٢٤٠ / ٥).

تنبيه:

التصحيح في اسم عيسى إلى عيسى متكرر، فقد وقع في "سنن ابن ماجه" طبعة محمد فؤاد عبدالباقي (٧٥١/٢)(ح٢٢٣٤) تصحيح حيث جاء فيه: حدثنا إبراهيم بن المستمر العروقي ثنا أبي ثنا عيسى بن ميمون ثنا عون العقيلي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غدا إلى صلاة الصبح..» الحديث.

وقد تدارك ذلك الشيخ الألباني في "ضعيف سنن ابن ماجه" (رقم ٢٢٢٥) والأعظمي في طبعته للسنن (٢١/٢)(ح٢٢٥٣)، وهو على الصواب في "الضعفاء" للعقيلي في ترجمة عيسى بن ميمون (٤١٨/٣)، وانظر "تهذيب الكمال" (١٩/٢٨٠، ٢٧٨)، وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧٧/٤) وأعله بعيسى بن ميمون، وعزاه إلى الطبراني فقط!

وروي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، رواه ابن أبي عمر العدني في "مسنده" عزاه إليه الحافظ ابن حجر في "المطالب العالية" (ح٤١٧٨)، والطبراني في "المعجم الكبير" عزاه إليه الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٦٨/١٠) من حديث عبدالرحمن ابن زياد بن أنعم عن عبدالله بن يزيد عن عبدالله بن عمرو بن العاص به.

وعبدالرحمن بن زياد بن أنعم الأكثر على تضعيفه، وهو مقارب الحديث يُحتمل منه ما وافق الثقات فيه^(١).

وروي من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما، من طرق عنه:

[١] فروي عن الحسن البصري عنه به، وقد تقدم.

[٢] ورواه سلمان الأغر عن عمار به، رواه ابن حبان في "صحيحه" (ح٧٢٢٦)

والبزار في "مسنده" (ح١٤١٢) والرامهرمزي في "الأمثال" (ص ١٦٤) والشاموخي في

^(١) "الكاشف" (١٦٤/٢)(٣٢٣٢) "ميزان الاعتدال" (٥٦١/٢) "تهذيب التهذيب" (١٥٥/٦).

"أحاديثه" (ص ٣٠) والبيهقي في "الزهد الكبير" (ح ٣٩٧) كلهم من حديث الفضيل بن سليمان عن موسى بن عقبة عن عبيد ابن سلمان الأغر عن أبيه عن عمار رضي الله عنه به. وإسناده ضعيف؛ الفضيل بن سليمان النميري البصري، قال عنه صالح بن محمد جزرة: «منكر الحديث روى عن موسى بن عقبة مناكير».

وقال الحافظ: «صدوق له خطأ كثير»^(١).

وعبيد بن سلمان الأغر ضعفه الإمام البخاري^(٢).

وتعقبه أبو حاتم الرازي، وقال: «لا أرى في حديثه انكاراً يحول من كتاب "الضعفاء" الذي ألفه البخاري إلى الثقات»^(٣).

وكلام أبي حاتم الرازي يوحي بأن الإمام البخاري ضعفه.

وقال الحافظ ابن حجر في آخر ترجمة المذكور: «عبارة البخاري ونقلها ابن عدي الأغر ولم يقل ابن سلمان والله أعلم».

قلت: وكان الحافظ يشك في أن من ضعفه الإمام البخاري هو عبيد بن سلمان الأغر، وأن غاية ما ورد عن الإمام البخاري هو عبيد الأغر، فكأن هناك احتمال بأنه آخر غيره.

وهذا شك قوي، ولفظ الإمام البخاري في "تاريخه" (٣/١/٤٤٢): «عبيد الأغر القرشي عن عطاء بن يسار وروى عنه موسى حديثه لا يصح».

ونقله عنه العقيلي في "الضعفاء" (٣/١١٥).

وحديثه ذكره الحافظ ابن عدي في "الكامل" (٥/٣٥١) وابن عبد البر في "الاستيعاب" (٤/٣١٤-٣١٥، حاشية الإصابة) من حديث موسى بن عبيدة عن عبيد

^(١) "تقريب التهذيب" (رقم ٥٤٢٧)، وانظر "تاريخ ابن معين" للدوري (٤/٢٢٦) "التاريخ الكبير" (٤/١٢٣) "الجرح

والتعديل" (٧/٧٢) "الضعفاء" للنسائي (رقم ٤٩٤) "الثقات" لابن حبان (٧/٣١٦) "الكامل" لابن عدي (٦/١٩).

^(٢) "التاريخ الكبير" (٣/١/٤٤٩).

^(٣) "الجرح والتعديل" (٥/٤٠٧).

ابن الأغر^(١) عن عطاء بن يسار عن جهجاه عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمن يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

وكلاهما نقلا ذلك عن الإمام البخاري، وكلامه موجود "التاريخ الكبير" (١٩٨ / ٢ / ٢) في ترجمة سكين الضمري رضي الله عنه، ولكنه لم يقل: «عبيد الأغر، أو ابن الأغر» وإنما قال: «عبيد بن سلمان» وهذا يدفع سبب شك الحافظ من عدم ذكر الاسم كاملاً. وقد ترجم البخاري لعبيد بن سليمان الأغر (٤٤٩ / ١ / ٣)، فدل على أنه يفرق بينهما. الأول عنده: عبيد بن سلمان مولى مسلم بن هلال، يروي عن سعيد بن المسيب وعنه ابن أبي ذئب.

ولم يقل: «الأغر».

ولعل الإمام مسلم وافق شيخه حيث ذكره في "الوحدان" رقم (١١٦٠)، وذكر أنه لم يرو عنه غير ابن أبي ذئب.

حتى في "الجرح والتعديل" لم يقل: الأغر، وإنما قال: الأعرج، كما هو في الأصول الخطية، قال الشيخ المعلمي: «كذا في الأصلين».

ولم أجد من ذكر الأغر في عبيد بن سلمان هذا غير المزي في "تهذيب الكمال" ومن جاء بعده قلده.

والثاني: عبيد بن سلمان الأغر القرشي، يروي عن عطاء بن يسار وعنه موسى بن عبيدة، وساق اسمه كاملاً على نحو ما ذكر العقيلي في "الضعفاء" (٣٧١ / ٥).

بل وثالث، اسمه: عبيد بن سلمان^(٢) يروي عنه يعقوب بن محمد بن طحلاء، وهو عن يعقوب بن الأشج حديث: «الربغ شؤم» كما في "التاريخ" (٨-٧ / ٢ / ٣).

^(١) هكذا في "الكامل" و"الاستيعاب" ولفظه في "التاريخ الكبير" (١٩٨ / ٢ / ٢): «عبيد بن سليمان».

^(٢) ذكر ذلك في حرف السين مع الباء، وعلّق على ذلك شيخ مشايخنا العلامة المعلمي بقوله: «قد مر قبل ذلك في السين ترجمة عبيد بن سلمان هذا فراجعها، والله أعلم ما الباعث على ذكره في الباء!» .

ولم أجد من أنبه على ذلك، ولم يذكر ذلك الخطيب في "المتفق والمفترق"، والله أعلم.
وكل هؤلاء الذين فرّق بينهم الإمام البخاري، وجعلهم ابن أبي حاتم والمزي والحافظ
الذهبي وابن حجر رجلاً واحداً، والله أعلم.

تنبيه:

ذكر ابن حبان في كتابه "المجروحين" (١٤١/٢-١٤٢): عبد الأعلى القرشي، وقال:
«روى عنه موسى بن إسماعيل-هكذا-، كان يروي عن عطاء بن يسار ما ليس من
حديثه!، وهو الذي يقال له عبد الأغر القرشي، لا يجوز الاحتجاج به بحال».
والخلاصة: يهمننا الذي روى عن أبيه عن عمار بن ياسر، وعنه موسى بن عقبة، ذكره
ابن حبان في "الثقات" (١٥٦/٧).

وأبوه، هو: سلمان الأغر الأصبهاني أبو عبد الله مولى جهينة، والأغر لقب له لا يُطلق
على أحدٍ من أولاده كما وهم في ذلك البعض، نبه على هذا الحافظ ابن عبد البر في
"التمهيد" (٢٦٦/٢١).

روى عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي الدرداء وعمار وغيرهم.
وعنه بنوه عبد الله وعبيد الله وعبيد وغيرهم.
قال شعبة: «كان الأغر قاصداً من أهل المدينة، وكان قد لقي أبا هريرة وأبا سعيد،
وكان رضا»^(١).

قال العجلي: «مدني تابعي ثقة»^(٢).

وذكره ابن أبي حاتم بهذا الاسم وسكت عنه، وفرّق بينه وبين: أبي عبد الله الأغر،
ويقال أبو مسلم الأغر، وقال عن الأخير: «صالح»^(٣).

^(١) "التاريخ الكبير" (١٣٧/٢/٢).

^(٢) "الثقات للعجلي" (رقم ٦٤٩).

^(٣) "الجرح والتعديل" (١٤٤/١) (٤٠١/٩).

وقال الدوري: «سمعت يحيى يقول: الأغر يقال له أبو عبد الله، وهو سلمان الأغر وهو الأغر مولى جهينة»^(١).

والصحيح أن أبا عبد الله سلمان الأغر غير أبي مسلم الأغر.

وقال المزني: «من لم يفرق بينهما واهم»^(٢).

وتبعه الحافظ ابن حجر، ونسب الجمع بينهما إلى الطبراني وعبد الغني المقدسي^(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «وممن فرق بينهما البخاري ومسلم وابن المديني والنسائي

وأبو أحمد الحاكم وغيرهم»^(٤).

وقال الإمام ابن عبد البر: «هو من ثقات تابعي أهل المدينة»^(٥).

وقال مرة: «من تابعي المدينة وأصله من أصبهان وهو ثقة كبير حجة».

وقال مرة: «ثقة رضي»^(٦).

قال عنه الحافظ في "التقريب": «ثقة من كبار الثالثة»^(٧).

روى له الجماعة.

وخلاصة الحكم على الإسناد: أنه ضعيف لا يصح، لحال الفضيل بن موسى

النميري، ولين عبيد بن سليمان الأغر.

وقول البزار: «وهذا الحديث قد روي عن عمار، وهذا الإسناد أحسن من الأسانيد

الأخر التي تروى عن عمار».

إنما مراده الحُسن النسبي، بالنسبة لبقية الطرق عن عمار رضي الله عنه، والله أعلم.

^(١) "تاريخ ابن معين - رواية الدوري" (٣/٣٤٤).

^(٢) "تهذيب الكمال" (١١/٢٥٦).

^(٣) "تهذيب التهذيب" (٤/١٢٢).

^(٤) "تهذيب التهذيب" (١/٣١٩).

^(٥) وقع في "تهذيب التهذيب" (أهل الكوفة) وهو خطأ بين، وتصويبه من "التمهيد" (١٩/٢١٤).

^(٦) "التمهيد" لابن عبد البر (٦/١٧)(٧/١٢٨)(١٩/٢١٤).

^(٧) "تقريب التهذيب" (رقم ٢٤٧٨).

[٣] ورواه عبدالله بن عبيدة عن عمار رضي الله عنه به، روى ذلك الروياني في "مسنده" (ح ١٣٤٣) قال: نا محمد بن إسحاق أنا عبيد الله بن موسى نا موسى بن عبيدة عن أخيه عن عمار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره. وموسى بن عبيدة وأخوه ضعيفان^(١).

فائدة:

قال أبو بكر الحازمي: «روى موسى بن عبيدة الربذي عن أخيه عبدالله بن عبيدة وبينهما في السن ثمانون سنة»^(٢).

[٤] ورواه رجل عن عمار رضي الله عنه به، عند أبي داود الطيالسي في "مسنده" (ح ٦٨٢) حدثنا عمران عن قتادة، قال: حدثنا صاحب لنا عن عمار رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره».

والإسناد ضعيف لعلتين:

إحدهما: حال عمران القطان، وهو «صدوق يهم» كما قاله الحافظ في "التقريب"^(٣)، ومثل هذا يخاف من تفرده، فكيف بمخالفته لمن هو أوثق منه؟

والثانية: جهالة حال الرجل الراوي عن عمار رضي الله عنه.

خلاصة الحكم على الحديث:

أصح روايات الحديث مرسل الحسن البصري، وقد حسَّنه جماعة من أهل العلم بمجموع وجوه الحديث.

قال الإمام ابن عبدالبر في "التمهيد" (٢٥٣/٢٠): «روي من حديث أنس وحديث عبدالله بن عمرو بن العاصي من وجوه حسان».

^(١) "تقريب التهذيب" (رقم ٣٤٥٨، ٦٩٨٩).

^(٢) "تهذيب الكمال" (١٠٦/٢٩).

^(٣) "تقريب التهذيب" (رقم ٥١٥٤).

وكذا حسَّنه الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٦٨ / ١٠).
وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٨ / ٧): «حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة».
وللحافظ ابن حجر جزء في "طرق حديث مثل أمتي مثل المطر"^(١).
وتقدمت حكاية تضعيف النووي للحديث في "فتاويه" (ص ١٨٠) وتعقب الحافظ ابن حجر له، والله أعلم.
ولئن إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٣٧١ / ١١).

^(١) "فهرس الفهارس" لعبدالحى الكتاني (١ / ٣٣٥).

فصل

في الكلام عن معنى الحديث

الحديث فيه بيان خيرية أمة محمد ﷺ وأنها كالمطر كله خير، والمطر إن أراد الله به خيرا قد يكون في أوله وقد يكون في آخره أو وسطه، فلا يدرى متى تكون بركته ونفعه، وقد أورد على هذا الحديث إشكال لأن ظاهره تساوي الخيرية بين أول المطر وآخره! والنصوص النبوية الصحيحة الصريحة تدل على أفضلية الجيل الأول جيل الصحابة ﷺ على بقية الأمة ثم تتوالى الأفضلية للقرون الأولى على غيرهم، كقول النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» متفق عليه.

وقول النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..» الحديث وهو في "الصحيحين".

وقد أورد هذا الإشكال ابن قتيبة في "تأويل مختلف الحديث" فقال: (١/١١٤ - ١١٥): «قالوا رويتم أن رسول الله ﷺ قال: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره» ثم رويتم: «إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا» وأنه قال: «خير أمتي القرن الذي بعثت فيه» قالوا: وهذا تناقض واختلاف.

قال أبو محمد: ونحن نقول إنه ليس في ذلك تناقض ولا اختلاف، لأنه أراد بقوله: «إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا» أن أهل الإسلام حين بدأ قليل وهم في آخر الزمان قليل إلا أنهم خيار، ومما يشهد لهذا ما رواه معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعي عن يحيى أو عروة بن رويم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خيار أمتي أولها وآخرها وبين ذلك ثبج أعوج ليس منك ولست منه» والشبج الوسط، وقد جاءت في هذا آثار منها أنه ذكر آخر الزمان فقال: «التمسك منهم يومئذ بدينه كالباض على الجمر» ومنها حديث آخر ذكر فيه أن الشهيد منهم يومئذ كشهيد بدر، وفي حديث

آخر أنه سئل عن الغرباء فقال: «الذين يجيئون ما أمات الناس من سنتي» وأما قوله: «خير أمتي القرن الذي بعثت فيه» فلسنا نشك في أن صحابته خير ممن يكون في آخر الزمان، وأنه لا يكون لأحد من الناس مثل الفضل الذي أوتوه، وإنما قال: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره» على التقريب لهم من صحابته، كما يقال ما أدري أوجه هذا الثوب أحسن أم مؤخره ووجهه أفضل إلا أنك أردت تقريب منه، وكما تقول: ما أدري أوجه هذه المرأة أحسن أم قفاها، ووجهها أحسن إلا أنك أردت تقريب ما بينهما في الحسن، ومثل هذا قوله في تهامة: «إنها كبديع العسل لا يدرى أوله خير أم آخره» والبديع الزق، وإذا كان العسل في زق ولم يختلف اختلاف اللبن في الوطرب فيكون أوله خيرا من آخره، ولكنه يتقارب فلا يكون لأوله كبير فضل على آخره».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في "مجموع الفتاوى" (٢ / ٢٢٧): «والحديث الذي يروى: «مثل أمتي كمثل الغيث لا يدرى أوله خير أم آخره؟» قد تكلم في إسناده وبتقدير صحته إنما معناه يكون في آخر الأمة من يقارب أولها حتى يشته على بعض الناس أيها خير كما يشته على بعض الناس طرفا الثوب مع القطع بأن الأول خير من الآخر ولهذا قال: «لا يدرى» ومعلوم أن هذا السلب ليس عاما لها فإنه لا بد أن يكون معلوما أيها أفضل».

وقال أيضاً رحمه الله في "مجموع الفتاوى" (١١ / ٣٧١): «وأما قوله: «أمتي كالغيث لا يدرى أوله خير أم آخره» مع أن فيه لينا فمعناه: في المتأخرين من يشبه المتقدمين ويقاربهم حتى يبقى لقوة المشابهة والمقارنة لا يدرى الذي ينظر إليه أهذا خير أم هذا؟ وإن كان أحدهما في نفس الأمر خيرا، فهذا فيه بشرى للمتأخرين بأن فيهم من يقارب السابقين كما جاء في الحديث الآخر: «خير أمتي أولها وآخرها، وبين ذلك ثبج أو عوج، وددت أني رأيت إخواني قالوا: أولسنا إخوانك؟ قال: أنتم أصحابي» هو تفضيل للصحابة فإن لهم خصوصية الصحبة التي هي أكمل من مجرد الإخوة. وكذلك قوله:

«أي الناس أعجب إيماناً» إلى قوله: «قوم يأتون بعدي يؤمنون بالورق المعلق» هو يدل على أن إيمانهم عجب أعجب من إيمان غيرهم ولا يدل على أنهم أفضل».

وقال أيضاً في "مجموع الفتاوى" (١٨ / ٣٠٦): «وأما قوله ﷺ: «مثل أمتي كمثل الغيث لا يدري أوله خير أو آخره» فهذا قد رواه أحمد في المسند وقد ضعفه بعض الناس وبعضهم لم يضعفه لكن قال معناه: أنه يكون في آخر الأمة من يقارب أولهم في الفضل وإن لم يكن منهم حتى يشته على الناظر أيها أفضل وإن كان الله يعلم أن الأول أفضل كما يقال في الثوب المتشابه الطرفين: هذا الثوب لا يدري أي طرفيه خير، مع العلم بأن أحد طرفيه خير من الآخر وذلك لأنه قال: «لا يدري أوله خير أو آخره» ومن المعلوم أن الله يعلم أيها خير إذا كان الأمر كذلك وإنما ينفي العلم عن المخلوق لا عن الخالق؛ لأن المقصود التشابه والتقارب وما كان كذلك اشتبه على المخلوق أيها خير».

وقال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (٧ / ٥١٩): «فهذا الحديث، بعد الحكم بصحة إسناده، محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها، وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم. وكذلك الزرع الذي يحتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه أكد، فإنه لولاه ما نبت في الأرض، ولا تعلق أساسه فيها؛ ولهذا قال، عليه السلام: «لا تزال طائفة من أممي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، إلى قيام الساعة». وفي لفظ: «حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة؛ لشرف دينها وعظم نبينا. ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن في هذه الأمة «سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب»، وفي لفظ: «مع كل ألف سبعون ألفاً» وفي آخر «مع كل واحد سبعون ألفاً»...».

وفي "تحفة الأحوذى" (٨ / ١٣٨) لشيخ مشايخنا أبي العلى المباركفوري: «قال التوربشتي: لا يحمل هذا الحديث على التردد في فضل الأول على الآخر؛ فإن القرن الأول هم المفضلون على سائر القرون من غير شبهة، ثم الذين يلونهم وفي الرابع اشتباه من قبل الراوي وإنما المراد بهم نفعهم في بث الشريعة والذب عن الحقيقة.

قال القاضي: نفي تعلق العلم بتفاوت طبقات الأمة في الخيرية وأراد به نفي التفاوت، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَسْبَحُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨] أي بما ليس فيهن، كأنه قال: لو كان لعلم لأنه أمر لا يخفى، ولكن لا يعلم لاختصاص كل طبقة منهم بخاصية وفضيلة توجب خيريتها، كما أن كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في النشو والنماء لا يمكنك إنكارها، والحكم بعدم نفعها فإن الأولين آمنوا بما شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول الله ﷺ بالإجابة والإيمان والآخرين آمنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الآيات واتبعوا من قبلهم بالإحسان وكما أن المتقدمين اجتهدوا في التأسيس والتمهيد فالتأخرون بذلوا وسعهم في التلخيص والتجريد وصرفوا عمرهم في التقرير والتأكيد فكل ذنبهم مغفور وسعيهم مشكور وأجرهم موفور انتهى.

قال الطيبي: وتمثيل الأمة بالمطر إنما يكون بالهدى والعلم كما أن تمثيله ﷺ الغيث بالهدى والعلم فتختص هذه الأمة المشبهة بالمطر بالعلماء الكاملين منهم المكملين لغيرهم فيستدعي هذا التفسير أن يراد بالخير النفع فلا يلزم من هذا المساواة في الأفضلية ولو ذهب إلى الخيرية فالمراد وصف الأمة قاطبة سابقها ولا حقها وأولها وآخرها بالخير وأنها ملتحمة بعضها مع بعض مرصوفة بالبنيان مفرغة كالحلقة التي لا يدري أين طرفاها.

وفي أسلوب هذا الكلام قول الأنبارية: هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها تريد المكملة، ويلح إلى هذا المعنى قول الشاعر:

إن الخيار من القبائل واحد وبنو حنيفة كلهم أختيار
فالحاصل أن الأمة مرتبط بعضها مع بعض في الخيرية بحيث أبهم أمرها فيها وارتفع
التمييز بينها وإن كان بعضها أفضل من بعض في نفس الأمر وهو قريب من سوق
المعلوم مساق غيره وفي معناه أنشد مروان بن أبي حفصة.

تشابه يوماه علينا فأشكلا فما نحن ندري أي يوميه أفضل

يوم بدء العمر أم يوم يأسه وما منها إلا أغر محجل

ومن المعلوم علما جليا أن يوم بدءة العمر أفضل من يوم يأسه لكن البدء لما يكن
يكمل ويستتب إلا باليأس أشكل عليه الأمر فقال ما قال وكذا أمر المطر والأمة انتهى». .
فخلاصة الأمر أن وصف النبي ﷺ لأمته بالمطر وخيريته من أوله إلى آخره ليس فيه
المفاضلة بين الأولية والآخرية أو المساواة، وإنما فيه الدلالة على مطلق الخيرية، كما يقال
بأن القرآن الكريم كله خير أوله وآخره، مع أن آيات القرآن الكريم متفاوتة في
الأفضلية.

وكذلك للمتأخرين من الأفضلية ما ليس للمتقدمين مع أن الأفضلية المطلقة
للمتقدمين على المتأخرين إذ التفضيل في البعض لا يلزم منه التفضيل الكلي، كحديث:
«للعامل منهم أجر خمسين» فقالوا: منا أو منهم؟ فقال ﷺ: «فقال: بل منكم» فهذا
تفضيل صريح للمتأخرين ولا يعارض صريح الأحاديث الدالة على أفضلية القرون
الأولى، وأن صدر القرون الأولى خير من المتأخرين، وأن ما جاء في فضيلة المتأخرين إنما
هي في بعض صورها وهي قلة الناصر، وإلا ففضيلة الصحبة، ومناصرة الرسول ﷺ
لهم، ومناصرتهم له، لا يعادله شيء من فضائل المتأخرين، والله أعلم.